

## كتاب الموشح للمزباني بحث في آليات التأليف

د. بلقاسم مالكية

جامعة ورقلة ( الجزائر )

### المقدمة:

تحدد أهمية المقدمة في أي كتاب في مجموعة من النقاط هي:

- أ- توضيح الهدف من القيام بالدراسة.
  - ب- إعطاء خلاصة عن أدب الدراسة أو نبذة عن الأبحاث السابقة التي عالج فيها أصحابها نفس الموضوع.
  - ج- تحديد أبعاد المشكلة وإعطاء تصور لكيفية معالجتها.
  - د- تشرح منهج البحث والأسلوب المتبع لدراسة الموضوع.
  - هـ- الأتيان على ذكر بعض الدوافع المشجعة لكتابة البحث وذلك مثلا كتوفر وثائق جديدة وتطويرات ساعدت على بلورة الموضوع.
  - و- تقديم شرح قصير، عن كل فصل أو جزء من الدراسة حسب التسلسل الموجود فيها مع التركيز على النقاط الرئيسية التي تم التعرض لها في ذلك الجزء من الدراسة<sup>1</sup>
- ونحن حين نطبق هذه العناصر على مقدمة كتاب الموضح نجد ما يأتي:
- أ- حدد المزباني هدف كتابه بأنه يذكر "طرفا مما أنكر على الشعراء في أشعارهم من العيوب التي السبيل أهل عصرنا هذا ومن بعدهم أن يجتنبوا ويعدلوا عنها"<sup>2</sup>.
- ويلاحظ على هذا الهدف أنه:
- أ- من غير وضع صاحب الكتاب، بل هو منسوب إلى شخص طلب من صاحب الكتاب تحقيقه، حيث استعمل المزباني كلامه بقوله: "سألت، حرس الله النعمة عليك، وأسبغ الموهبة لديك، أن أذكر لك طرفا..."<sup>3</sup>
- أ | أن الهدف له بعد زمني يعمل على محورين هما:
- محور الزمن الماضي: ويحقق وظيفة معرفيه، تتمثل في جمع وعرض مجموعة من المآخذ التي تمت في الماضي، والتعريف بها.

- محور الزمن الحاضر والمستقبل: ويحقق وظيفة تربوية من خلال اكتساب الشعراء المعاصرين للمؤلف والآتين بعده ملكة مميزة للأخطاء في بناء العمل الشعري.

ب- أما عن أدب البحث فقد تركز في محورين هما:

1- وصف العمل في الكتاب بقوله: "وأودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده وأمكن جمعه، وقرب متناوله من ذكر عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم وأوضحوا الغلط فيها".<sup>(4)</sup> وفي هذا الوصف حدد المؤلف حدود عمله، وأحال على جهود العلماء السابقين، ومذكرا في كل هذا بأن عمله في الكتاب لا يعدو الجمع، والترتيب لما " عيب على الشعراء قديمهم ومحدثهم في أشعارهم خاصة".<sup>(5)</sup>

1 | - ربط البحث بالبعد الديني الذي يجعل وجود الإنسان كله مرتبط بالله، وذلك يتضح في قوله: " ونعوذ بالله من التشاغل بغير ما قرب منه وأدى إلى طاعته، ونسأله التوفيق لأرشد الأمور وأحسنها بدنياً وعاقبة بمنه وكرمه؛ وهو حسينا ونعم الوكيل".<sup>(6)</sup> وهكذا فإن المؤلف يدخل عمله في إطار الاجتهاد المرتبط بالطاعة، والعبادة وذلك من خلال نفي انتماء عمله إلى خارج دائرة الأعمال التي تقترب من الله، ثم من حيث الاعتماد على الله، والتوكل عليه في إنجاز هذا العمل، وهذا الاعتماد، وهذا التوكل لا يكونان إلا في الأعمال الصالحة المستحبة عند الله، في حياة الإنسان المؤمن. والكتاب من ناحية أخرى وكما يوضح ذلك عنوانه، ومحتواه يحيل على الجهود التي قام بها العلماء السابقون في نقد الأشعار، فهو من هنا كان موضوعيا في التنويه بجهود العلماء السابقين له، وسيوضح ذلك أكثر حين التعرض لمصادر الكتاب.

ج- أما عن المنهج المتبع في معالجة هذه الإشكالية، فقد سبق ذكره حين أوردنا النص المأخوذ من مقدمة الكتاب- والذي يحدد فيه المؤلف مكونات كتابه- وعلى العموم فإن الكاتب مزج في معالجته للموضوع من جهة الجانب العام: أي النظري، والجانب الخاص: أي التطبيقي، ومن جهة أخرى بين مبدأ الجمع ومبدأ التفريق. وسنعود إلى هذا كله بالتفصيل حين الكلام عن المتن.

د- أما عن الأبعاد التي تحملها المشكلة فإن المؤلف قد حدد عدة جوانبها لها، وتتمثل هذه الجوانب فيما يأتي:

1- تحديد أنواع العيوب.

1 | - احتجاج العلماء للعيوب، ومواقف المؤلف من ذلك.

1 | 1 | - الهدف من معرفة العيوب.

هـ- أما العناصر المشجعة على البحث، فإن المؤلف قد أشار إلى أن هذا الكتاب هو استجابة لطلب شخص مهم لم يذكره، وهذا يحيلنا على ظاهرة بارزة في التراث وهي التأليف استجابة لرغبة صادرة عن سلطة ما، والتي تعد دافعا كبيرا للبحث معنويا وماديا، وذلك بالنظر إلى ارتباط الحياة الثقافية في أغلبها

بمراكز السلطة والقرار-المركزية منه والفرعية- والتي كانت تملك القدرة على تحمل أعباء مثل هذه الأبحاث، يقول محمد حسين شمس الدين معلقا على مقدمة كتاب الموشح: " كثير من كتب التراث يتضمن في التصدير مثل هذه العبارة التي تشير إلى أن المؤلف وضع كتابه استجابة لرغبة صديق أو خليفة أو سلطان أو أمير، وأكثر المؤلفين لم يكونوا يأنفون من هذا الاستدعاء، فكانوا يصدرن كتبهم بعبارات الثناء والمدح غير أن البعض الآخر كان يحاول التبرؤ من هذه التهمة... ونرجح أن المزرباني قد ألف الموشح تلبية لرغبة عضد الدولة البويهبي (فتاخسرو بن الحسن (324-372هـ)) فقد كان المؤلف مقربا إليه موفور الكرامة والخضوة والعطاء عنده..."<sup>(7)</sup>

و-أما عن

شرح أجزاء الكتاب، فإن النص الذي افتتحنا به عرضنا هذا يقدم فكرة موجزة عن ذلك كله.

المتن:

يعد المتن "القسم الرئيسي من أية دراسة، يمثل جوهر الموضوع" (8) ويمثل التجسيد العملي لما ورد في المقدمة موجزا، ونحن حين نتأمل الجدول الملخص لمحتويات الكتاب نلاحظ أن المتن يتكون من العناصر الآتية:

القسم	المضمون	الشكل
عيوب الشعر	نظري	جمع
الشعراء الجاهليون	تطبيقي	تفريق
عيوب الشعر	نظري	جمع
الشعراء الإسلاميون	تطبيقي	تفريق
عيوب الشعر	نظري	جمع
الشعراء المحدثون	تطبيقي	تفريق

إن أول ما يجب علينا فعله- قبل الشروع في تحليل هذا الجدول- هو توضيح معنى المصطلحات الواردة

فيه، وهي:

7-نظري: يعني تقديم تعريفات للعيوب.

2-تطبيقي: يعني تقديم نماذج من عيوب الشعراء.

3-جمع: يعني حصر العيوب المتشابهة في مكان واحد، مثل: عيوب المعنى.

4-تفريق: يعني توزيع العيوب على الشعراء من خلا نماذج مأخوذة من أشعارهم.

إن أول ما نلاحظه على هذا الجدول هو أن الكتاب بني وفق ثنائيتين هما:

نظري/ تطبيقي. جمع / تفريق.

وتعد هذه الخاصة البنائية للنص المفتاح الأساس لفهمه، وقد اعتمد المؤلف هذه الثنائيات لعدة أسباب ذكرها

في قوله الذي سبق أن افتتحنا به هذا التحليل، والذي يؤكد فيه على أن كتابه بني على أساسين هما:

7-أساس معرفي/تربوي: وهو الذي يهدف إلى إفهام القارئ من خلال توضيح العيوب له، وهذا لا يتم إلا بتقديم مادة مجموعة في موضع محدد من الكتاب، والتي تمكن القارئ من اخذ نظرة واضحة، وتصور شامل للعيوب من خلال التعريف، والأمثلة المتعددة التي تجسد له التعريف، لأن تفرق العيوب عبر صفحات الكتاب قد لا يساعد في الكثير من الأحيان على فهمها.

2-أساس نفسي: حيث يمكن المزج بين النظري والتطبيقي من حدوث نوع من التنوع والإيقاع في بناء النص، مما يكون له الوقع الحسن في نفس المتلقي، الذي لا يشعر بالملل من رتابة البناء الواحد للنص، وهذه القاعدة اتبعتها الكثير من المؤلفين القدماء ابتداء من الجاحظ.

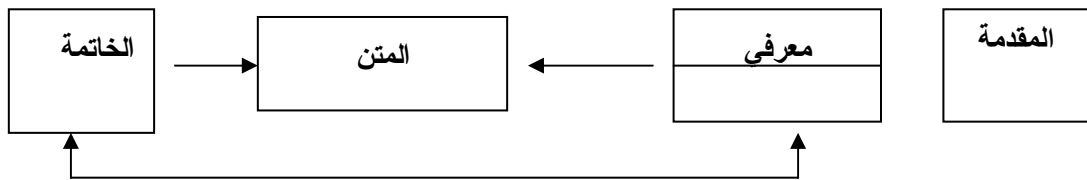
والشيء الذي يمكننا ملاحظته هنا هو أن المؤلف لم يذكر في النص الذي افتتحنا به تحليلنا هذا إلا الجزء النظري الأول من كتاب-الذي جاء سابقا للشعراء الجاهليين- بينما أهمل ذكر الجزئين الباقيين. ويمكننا تليل ذلك باقتراح ما يأتي:

أ- إما أن يكون المؤلف قد وضع كتابه في الأصل على شكل أجزاء متفرقة كل جزء متعلق بعصر، ثم جمعها وألحقها بالمقدمة الأولى.

ب- وإما أنه ذكر الجزء الأول وترك للقارئ قياس الجزئين الآخرين عليه.

#### الخاتمة:

وتتميز وظيفة الخاتمة "بأنها حصيلة البحث بأكمله، إذ أنها تجسد النتائج النهائية التي توصل إليها البحث من خلال استقصاءاته دراسته للموضوع، والخاتمة مرتبطة-إلى حد ما- بالمقدمة في أول البحث لأن الكاتب يحاول أن يجيب على بعض الفرضيات والتساؤلات التي تطرح في المقدمة، وفي العادة تستخدم الخاتمة لإبراز أهم النتائج التي استخلصها الكاتب من بحثه ولهذا: فهي ليست بالضرورة ترديدا أو تكرارا لما جاء في المتن وإنما تستعمل ربط عناصر الموضوع ببعضهما البعض واستخلاص النتائج من البحث"<sup>(9)</sup> والخاتمة في كتاب الموشح من هنا ليست تلخيصا لمتن البحث، بل هي لا تتصل به مباشرة، بل تتصل بالمقدمة، فقد عرفنا أن الهدف من كتاب الموشح مزدوج معرفي/تربوي، يتمثل الأول في تحصيل المعرفة بعيوب الشعر، ويتمثل الثاني في اكتساب القدرة الإجرائية على تمييز الخطأ من الصواب في الشعر، حتى لا يقع الشاعر فيها أثناء بناء عمله الشعري، فإذا كان المتن يحقق الشطر الأول من الهدف من خلال ما قدمه للشعراء وبخاصة من مفاهيم ونماذج للعيوب التي وقع فيها الشعراء، فإن الخاتمة تعمل على تحقيق الشطر الثاني من خلال التأكيد على خطورة عيوب الشعر، وأنها لا تمس الشعر وحده، بل تمس الشاعر نفسه، ولذا فهي تلعب على الجانب النفسي للمتلقى لحمله على الابتعاد عن هذه العيوب، ومن هنا يكون كتاب الموشح كتابا يبحث على تحقيق معرفة علمية يكون لها دور في تغيير الواقع والسلوك إلى جانب وصفه وتحليله، ويمكننا تجسيد العلاقة بين أجزاء كتاب الموشح وفق الشكل الآتي: <sup>(10)</sup>



ولا نختم هذا الجزء من التحليل قبل أن نشير إلى فقرة وردت في المقدمة ستساعدنا على فهم بناء الموشح حيث أن المرزباني بعد ذكره لأنواع العيوب يؤكد "على أن كثيرا مما أنكر في الأشعار قد احتج له جماعة من النحويين وأهل العلم بلغات العرب، وأوجبوا العذر للشاعر فيما أورده منه وردوا قول عائبه والطاعن عليه، وضربوا لذلك أمثلة قاسوا عليها ونظائر اقتدوا بها، ونسبه بعضهم إلى ما يحتمله الشعر أو يضطر إليه الشاعر، ولولا أنه لا يجوز أن نبني قولنا على شيء بعينه ثم نعقبه بنقضه في تضاعيفه لذكرنا الاحتجاج للشعراء في هذا الكتاب، ولكننا نفرد له رسالة إن شاء الله"<sup>(11)</sup> إن هذا النص يعكس بقوة منهج المرزباني في كتابه، سواء من حيث

الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من خلال الكتاب، أو من حيث بناء هذه الكتاب نفسه، فهذا النص بالنسبة للقضية الأولى يؤكد بقوة أن الهدف من الكتاب معرفي/تربوي، بمعنى أنه لا يقف عند حدود تقديم معرفة بل هو يسعى إلى جعل هذه المعرفة وسيلة إلى هدف أعمق، أبعد وأكثر إيجابية، هو تجنب الشعراء المعاصرين للمؤلف، والذين سيكونون بعده، الوقوع في هذه العيوب، فلو أن المؤلف أورد الحجج التي تبرر كل عيب لكان في ذلك إلغاء لمفهوم العيب، حيث يصبح كل استعمال شعري جائز، ومن هنا فالشاعر يقول ما يشاء، وكيفما شاء دون البحث، أو التأمل في عمله الشعري، ذلك أن كل شيء جائز، ومن شأن هذه الحجج أن تلغي البعد التربوي، ولا تترك إلا البعد المعرفي الذي سيفقد الكثير من أهميته، ذلك لأن الجدل الواسع حول كل عيب سيفقد الجدل نفسه شرعية الوجود، حين يتحول النص إلى مجال للتناقضات التي تجعله نوعا من العيب والعدم المطلق، وقد انعكس وعي المؤلف هذا على بناء الكتاب، حيث استبعد هذا اشق من البحث، والذي يمكننا

عده كتابا مضادا للموشح، وهو يتوفر على حضور معنوي إلى جانب كتاب الموشح الموجود فعلا، وهذا يعكس بصدق قيام الكتاب على ثنائية تقابلية تفسر وجود الكتاب وتعطي لهذا الوجود المعنى الصحيح. المحور الثاني

#### : الأقسام الصغرى للكتاب

#### أولا : الأقسام النظرية :

يتشكل متن كتاب الموشح من ثلاثة أقسام نظرية، جاء كل واحد منها في بداية قسم تطبيقي، وقد عرفنا في الجزء السابق من البحث الغاية التي كان يهدف إليها المؤلف من هذه الأقسام النظرية، أما في هذا الجزء من البحث فسنركز على تحليل هذه الأقسام النظرية، وذلك من خلال عنصرين هامين هما:

أ- تحليل مضمون هذه الأقسام.

ب- ترتيب عناصر هذه الأقسام وطريقة عرضها في الكتاب.

#### أ-مضمون الأقسام الصغرى للكتاب:

يبين لنا الجدول الآتي محتوى كل قسم من الأقسام النظرية:

القسم 03	القسم 02	القسم 01	العيوب
-	+	+	عيوب الوزن.
+	+	-	عيوب المعاني.
+	+	-	عيوب ائتلاف اللفظ والوزن.
+	-	-	عيوب ائتلاف المعنى والقافية.
+	-	-	عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى.
-	+	-	التشبيهات البعيدة/الغلو.
-	+	-	عيوب الألفاظ.
-	+	-	الشعر البعيد المغلق.
-	+	-	ضرورات الشعر

يمكننا أن نلاحظ على هذا الجدول ما يأتي:

7- أن العيوب تحاول أن تغطي كل جوانب العملية الشعرية، مما يمكننا من استنباط نظرية للشعر بطريقة نفي ما هو ليس بشعر، كما أن هذا يؤكد لنا مرة أخرى الوظيفة التربوية للكتاب، وقد تأكدت هذه الوظيفة فيما ورد من تعليقات على بعض العيوب. ومن أمثلة ذلك:

- وأما ما يقبح. (12)

- ولا نعلمه جاء في شيء لإنسان فصيح. (13)

- وهو فيمن دون الفحول من الشعراء أكثر. (14)

- ولا يجوز لمولد إذا كان عنده عيبا. (15)

2- أن القسم الأول يكاد يكون مقصورا على العيوب التي تمس جانب الوزن من الشعر بينما القسم الآخران عالجا عدة جوانب من عيوب الشعر.

2- تكرار العيوب من حيث المجال الذي تنتمي إليه، لا يعني تكرار من حيث التفاصيل فلوا أخذنا عيوب الوزن مثلا لوجدنا في القسم الأول المؤلف بذكر: الإقواء، والاكفاء، والإبطاء، والسناد، والنفاد، والتضمين، والرمل، بينما في القسم الثاني يذكر: التخليع والتزحيف.

ب- ترتيب عناصر الأقسام النظرية:

أما من حيث هذه الأقسام وترتيب بناءها، فإن التحليل المعمق لهذه الأقسام يكشف لنا أنها تتكون من ثلاثة عناصر هي: 7- العيب. 2- الشاهد. 3- الشرح.

7- العيب:

اتباع المزرباني في تقديم العيوب عدة طرق يمكننا إيجازها فيما يأتي:

1- ذكر شامل وجامع للعيوب التي يشتمل عليها القسم النظري، وذلك مثل ما وقع في القسم الأول حيث يورد المرزباني العيوب بقوله: "عيوب الشعر الإقواء، والاكفاء، والإبطاء، والسناد" (16)

1 | 1- ذكر العيب مع أقسامه مثل قوله: "ومن عيوب الشعر فساد القسم، وذلك إما أن يكررها الشاعر، أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدهما تحت الآخر في المستأنف، أو أن يدع بعضهما فلا يأتي به" (17)

1 | 1- ذكر العيب بتسميته مثل قوله: "ومن عيوب الشعر الإخلال..." (18)

1 | 1- ذكر العيب بوصفه مثل قوله: "ومن عيوب الشعر أن تكون القافية مستدعاة..." (19)

2- الشاهد:

والشواهد في الكتاب كلها شعرية، باستثناء استشهاد المؤلف بنكتة لتوضيح المعنى المقصود (20) وحجم الشواهد يختلف من عيب إلى آخر فنجد مثلا: حين الكلام عن الأبيات التي يقصر فيها أصحابها يقدم المؤلف 30 بيتا من الشعر (21) بينما يكتفي في الكثير من الحالات بالعدد القليل من الشواهد يتراوح من 7 إلى 3 أبيات.

3- الشرح:

وهو العنصر الأهم في الأقسام النظرية، إذ يعد الأساس، والغاية التي وجدت هذه الأقسام من أجلها ويمكننا تقسيم هذا الشرح إلى قسمين هما:

أ- القسم الأول يركز على تعريف العيوب.

ب-القسم الثاني يرتكز على شرح موضع العيب في الشاهد.

#### أ-القسم الأول:

يرتكز منهج المزرباني في هذا القسم من الشرح على إعطاء المعنى الاصطلاحي لكل مصطلح يعرض له، وهذا التعريف يكون دوما موجزا، مما يسهل فهمه، واستيعابه. أما الأصل اللغوي للمصطلح فلا يكاد المزرباني يتطرق له، إلا حين عرض لوجهة نظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، وطريقته في وضع المصطلحات العروضية، وكيف عمل على اشتقاقها من الاستعمالات اللغوية المألوفة في الكلام عن الخباء، والربط بين الأصل اللغوي والاستعمال الاصطلاحي للكلمة<sup>(22)</sup>، كما أن المزرباني يعرض إلى الاختلافات القائمة بين العلماء وضبط مفهوم بعض المصطلحات كما في قوله: "الأخفش يضع الإكفاء في موضع السناد والسناد في موضع الإكفاء على هذا الاشتقاق"<sup>(23)</sup>

#### ب-القسم الثاني:

نجد المزرباني في هذا القسم قد أورد عدة طرق للشرح، مع التنبيه إلى أن نصوص كتاب الموشح في أغلبيتها الساحقة جدا، ليست من وضع المزرباني، بل هي مأخوذة عن طريق الرواية الشفاهية، أو النقل عن الكتب، وسنعود إلى هذا في القسم الثاني من هذا البحث، وحتى يمكننا تحديد الطرق التي اتبعت في الشرح قمنا بتحليل عينة من كتاب الموشح<sup>(24)</sup> ومن خلال تحليلنا هذا وجدنا أن هناك طريقتان كبيرتان للشرح هما:

#### أولا: طريقة الشرح المباشر:

وتتجسد هذه الطريقة في الأمثلة الآتية:

- 7-الصعيرية من سمات النوق.
- 2-وكان حيان أشهر وأعلى ذكرا من جابر فأضافه إليه اضطرابا.
- 3-والمذكار التي تلذ الذكران والمثنائات عندهم أحمد وأراد مذكره فلم يتفق له.
- 4-أراد غادرني سهمه أعور فلم يمكنه فقال: أعشى.
- 5-شبهه ناصيتها بسعف النخلة، وإذا غطى الشعر العين لم يكن كريما.
- 6-شبهه البيض بأولاد النعام، أراد بيض النعام.
- 7-أراد السنام ولا يسمى السنام شحما.
- 8-ليس للفيال مثل أيد الفيل فيذكره.
- 9-التنبال القصير فإن كان كذلك فكيف صار القصير أولى بطلب الموثل من الطويل، وإن جعل التنبال الجبان فهو أعيب، لأن (الجبان خائف وجل اشتدت الحرب أم سكنت).
- 10-لا يكون القادم إن إلا لما له آخران، وتلك الناقة لها أربعة أخلاف.
- 11-فكيف تكون خميسة وشبهها بالقنطرة؟، والقنطرة لا تكون إلا عظيمة وقال: مجفر الأضلاع فكل هذا ينقض ما ذكره من الخمص.

ونقصد بالشرح المباشر؛ أن المؤلف يتجه إلى توضيح العيب مباشرة، مركزا عليه مظهرا لجوانبه، وهو يستعين في ذلك باللغة، كما في المثال الثالث، وبالذوق العام، والعرف كما في المثال الخامس، وبالمناطق كما في المثال الحادي عشر، وبالحقائق التاريخية كما في المثال الثاني وبالحقائق الطبيعية المشاهدة كما في المثال الثامن،

وبالعرف اللغوي كما في المثال السابع، كما أنه يقاب المعنى على جوانبه المختلفة، مبينا من خلال ذلك كله احتمالات العيب التي فيه، كما في المثال التاسع، كما قد يطرح السؤال ثم يجيب عليه كما في المثال الحادي عشر.

**ثانيا: طريقة الشرح غير المباشر:**

وتتجسد في الأمثلة الآتية:

- 1- فقيل إن فرسا يحتاج إلى أن يستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد.
- 2- وسمعه طرفة فقال: استتوق الجمل.
- 3- وإنما توصف النجائب بصغر الكركرة ولطف الخف.
- 4- وإنما يلحم الشدقان لا الساقان.
- 5- يمدح ملكا ويذكر أنه يجود بالماعون.
- 6- كان ينبغي أن يقول: وكان في طول عهدها قصر، أو يقول: فصار في قصر عهدها طول.
- 7- لو قال: إنه كان يذهب سقمه كان أبلغ لنعتها.
- 8- كان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليلي ونهاري.
- 9- كان يحتاج أن يقول أغي أم رشد فنقص العبارة.
- 10- وإنما توصف النجائب برقة شعر الذنب وخفته، وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا.
- 11- كان ينبغي أن يقول من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر عن بلوغها فأما إذا ساوى بهم غيرهم فأبي فضل لهم.

ونقصد بالطريقة الثانية من الشرح: أن المؤلف لا يشرح العيب مباشرة، بل يتناولها بطريقة غير مباشرة، يترك فيها للمتلقي إعمال عقله لإدراك العيب، وفي ذلك يسلك المؤلف مسالك هي:

**أولا:** إعطاء البديل الصحيح كما في المثال الثامن، ووصف هذا البديل في بعض الحالات بأنه أبلغ كما في المثال السابع، أو إعطاء أكثر من احتمال للبديل كما في المثال السادس.

**ثانيا:** استعمال إنما و" يطلق عليها أداة حصر أو قصر، والمقصود عليه هو المتأخر دائما"<sup>(25)</sup> وهي من هنا أبلغ في إظهار الصواب، والتأكيد عليه.

**ثالثا:** كما يعتمد المؤلف في هذا النوع من الشرح على أساليب السخرية، كما في المثال الثاني، وإظهار التعجب كما في المثال الخامس، وهي معان انفعالية تنثير المتلقي لها.

**ثانيا: الأقسام التطبيقية:**

تشكل هذه الأقسام المحور المركزي في الكتاب، ويمكننا تسجيل الملاحظات الآتية عليها:

- 1- غلب على هذه الأقسام تناول الشعراء كل واحد لذاته، مع وجود أجزاء تناولت مجموعة من الشعراء دفعة واحدة، وهذا ما نجده -بخاصة- في القسمين الأول والثاني. ويمكننا تفسير هذا الجمع بما يأتي:
- أ- أن الأحكام النقدية قد صدرت حول جماعة من الشعراء دفعة واحدة، ففي الموضع الأول الذي جمع فيه المؤلف عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر وغيرهما، كان الأصل فيه هو احتكام هذه المجموعة من الشعراء إلى ربعة بن حذار وحكم هذا الأخير على أشعارهم.<sup>(26)</sup> وكذلك في الموضع الأول من القسم الثاني، الذي جمع



مجموعة من الشعراء الإسلاميين، حيث نجد السبب نفسه، أي اجتماعهم في مكان واحد، وكون الشخص الذي أصدر الحكم أصدره جماعيا. (27)

ت- أن الأحكام صدرت من ناقد واحد حول شعراء مختلفين، وذلك مثل الموضوع الأخير من القسم الأول حيث نجد الأحكام كلها منسوبة إلى ناقد واحد وهو الأصمعي. (28)

ث- أما بالنسبة للموضوع الأخير من القسم الثاني، فقد جمع بين شاعرين هما: عمر بن أبي ربيعة والأحوص وما دار بينهم من نقد. (29)

2- اختلاف الأقسام من حيث الكم، كما يأتي:

الأقسام	الشعراء الأفراد	الشعراء الجماعة
1	22	26
2	38	12 <sup>(30)</sup>
3	37	(31)

وهذا الفرق الكمي قد يعكس سيطرة النظرة التفضيلية للقدماء، التي تجعل من الشاعر الجاهلي النموذج الأمثل بين سائر العصور الأخرى، ثم يأخذ الإبداع الشعري في الضعف حتى يصل إلى المحدثين، والذين افتتح المؤلف قسمهم بحكم عام لابن الأعرابي الذي يحكم فيه على كل شعر المحدثين بالنقص (32)

3- أما من حيث ترتيب الشعراء داخل كل قسم، فإننا بعد تفتيش طويل لم نجد قاعدة عامة خضع لها هذا الترتيب، فقد حاولنا النظر من حيث التسلسل الزمني فوجدنا المؤلف لا يحترمه، حيث نجد على سبيل المثال يضع الفرزدق في أول القسم الثاني وقد توفي سنة 170هـ بينما نجد جميل بن معمر الذي توفي 82هـ يتأخر عنه كثيرا، والشيء نفسه في القسم الثالث، حيث نجد أبا تمام المتوفى 332هـ يتقدم عن دعلج بن علي الخزاعي الذي توفي سنة 246هـ.

**القسم الثاني: مصادر تأليف كتاب الموشح:**

لا يمكننا إتمام الحديث عن منهج المزرباني في تأليف كتابه دون التعرّيج على ملاحظة هامة، هذه الملاحظة تظهر من خلال حديث ابن النديم عن المزرباني، حيث وصفه بأنه "آخر من رأينا من الإخباريين المصنفين، راوية صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات، كثير السماع"<sup>(33)</sup> وهذه الملاحظة تجعل من المزرباني في أعماله جامعا للأخبار والروايات أكثر منه مؤلفا ودارسا، وهذا ما يؤكد زكي مبارك في قوله: "...ولكن يهمننا أن نشير إلى أن مجموعة مؤلفات المزرباني تدور حول نقطة واحدة هي تنظيم الثقافة الأدبية، فقد عن الرجل أن يجمع أخبار الشعراء ويرتبها ترتيبا قد يعجز عنه أدباء اليوم..."<sup>(34)</sup> ومن هنا فإن دراسة مصادر المزرباني في كتابه الموشح، من حيث نوعها، وطريقة تعامله معها، يعد أمرا أساسيا في دراسة منهج التأليف عند المزرباني، وفهم طبيعة كتابه.

ويمكننا تقسيم مصادر المزرباني في كتابه الموشح إلى قسمين كبيرين هما:

أ-المصادر الكتابية.

ب-المصادر الشفهية.

أ-المصادر الكتابية:

وتقصد بها المصادر التي وضعت أصلا كتابة، والتي هي وليدة الثقافة الكتابية لكل خصائصها، أما وهذه المصادر كما أمكن تحديدها:

- 1-طبقات فحول الشعراء لابن سالم الجمحي(323هـ).
  - 2-رسالة أي العباس عبد الله بن المعتز(396هـ) في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه.
  - 3-رسالة أبي أحمد يحيى بن علي المنجم(300هـ) في المفاضلة بين العباس بن الأحنف والعتابي.
  - 4-كتاب عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي(322هـ).
  - 5-كتاب نقد الشعر لقدماء بن جعفر(337هـ).
  - 6-كتاب الجامع في العروض والقوافي لأبي الحسن أحمد بن محمد العروضي (342هـ).
- ويمكننا إدراج كتاب الأصمعي حول فحولة الشعراء ضمن هذه المصادر، لأنه نص يقف بين المشافهة والكتابة، فهو وإن كان محاوراً بين أبي حاتم السجستاني والأصمعي، إلا أنه يحمل بعض ملامح الثقافة الكتابية، ولعل في قول أبي حاتم في مطلع هذا الكتاب: "فلما رأني أكتب كلامه فكر ثم قال:..<sup>(35)</sup> ما يدل على ذلك. ما يمكننا ملاحظته على تعامل المرزباني مع هذه المصادر هو: أن هناك عملية تفاعل متبادلة بين المرزباني ومصادره:

7-فأما من الجهة الأولى لهذا التفاعل فتتمثل في أن توجه المرزباني إلى البحث عن العيوب والمآخذ، جعله لا يأخذ من هذه المصادر إلا ما يخدمه، فلو أخذنا على سبيل المثال كتاب "نقد الشعر" لقدماء بن جعفر نجد صاحبه قد قسمه إلى قسمين كبيرين هما:

أ-قسم النعوت: أي الأسس التي يجب أن يبنى عليها العمل الشعري.

ب-قسم العيوب: وفيه حدد العيوب التي تقع في العمل الشعري.<sup>(36)</sup>

2-أما الجهة الثانية لهذا التفاعل فتتجسد في أن هذه المصادر قد وجهت المرزباني إلى التأكيد على أمرين مهمين في كتابه هما:

أ-الوظيفة التربوية التوجيهية للعملية النقدية، والتي يمكن الكشف عنها في كتاب عيار الشعر، مثلاً، الذي افتتحه ابن طباطبا بجعل الغاية من وضعه "...علم الشعر والسبب الذي توصل به إلى نظمه، وتقريب ذلك على فهمك، والتأني لتيسير ما عسر منه عليك"<sup>(37)</sup> والكلام في هذا النص وإن كان موجه إلى شخص بعينه ألا أنه ينطبق على كل باحث في مجال الشعر، وكل ساعي إلى اكتساب قواعده، ومعرفة فنونه، وهذه النزعة يؤكدتها قول الدكتور فخر الدين عامر في دراسته لكتاب عيار الشعر حيث يذهب إلى أن ابن طباطبا "سلك في موضوعات الكتاب مسلكاً تعليمياً... فقد جرى أسلوب الكتاب كله على الشرح المسهب، وتفصيل الجزئيات والتمثيل الموضح للأفكار وتأكيد الرأي يعرضه في صور مختلفة، وبهذا يكون منهج المصنف تكاملياً، وأسلوبه في عرض مادته تعليمياً"<sup>(38)</sup> والأمر نفسه ينطبق على كتاب "الجامع في العروض والقوافي"<sup>(39)</sup>.

ب-النظرة التداولية للشعر: أي عد الشعر عملية اتصال حركية تتكون من عناصر هي: المرسل، والرسالة، والمتلقي. وأن الشاعر المبدع، والناقد المتفحص للشعر، عليهما مراعاة هذه الخاصة، فلا يهتم الشاعر بالرسالة وحدها، بل يستحضر المتلقي، ولا يركز الناقد على الشاعر ونصه، بل يستحضر بدوره المتلقي، الذي يعد

الناقد نموذجا من نماذجه الكثيرة والمتنوعة، وهذه النظرة إلى الشعر كما يرى الدكتور عبد الجليل هنوش: "هي النظرة السائدة في مجمل التراث الإسلامي العربي"<sup>(40)</sup>

#### ب-المصادر الشفاهية:

يعد كتاب الموشح نموذجا للرواية الشفاهية، وسنركز في دراستنا لهذه الرواية على محورين هما:

7-محور الإسناد.

2-محور موقف المزرباني من الروايات في كتابه.

#### أولا: محور الإسناد:

يمكننا تعريف الإسناد بأنه "عملية يقوم بها الراوي تتمثل في إسناد خيط واصل بينه وبين مصدر الخبر"<sup>(41)</sup>

وله عدة طرق تعرف بطرق التحمل وهي بحسب أهميتها:

7-السماع. 2-القراءة. 3-الإجازة. 4-المناولة. 5-المكاتبة. 6-الإعلام. 7-الوصية. 8-الوجادة.<sup>(42)</sup> ولكل

واحدة من طرق التحمل ألفاظ تستعمل فيها، يمكننا ذكرها في الجدول الآتي:<sup>(43)</sup>

طرق التحمل								عبارات الأداء
الوجادة	الوصية	الإعلام	المكاتبة	المناولة	الإجازة	القراءة	السماع	
+	+	+	+	+	+	+	+	حدثني-حدثنا
+	+	+	+	+	+	+	+	أخبرني-أخبرنا
						+	+	سمعت
					+		+	أنبأنا
				+		+	+	قال
						+		قرأت-أخبرني قراءة
					+			أجاز إلي- أخبرني إجازة
				+				دفع إلي-أعطاني
			+					كتب إلي-أخبرني مكاتبة
+								قرأت أو وجدت بخط فلان
+								بلغني

### ألفاظ التحمل في كتاب الموشح:

- حين تتبعنا للألفاظ المستعملة في بناء الإسناد في كتاب الموشح وجدنا ما يأتي:
- 7- قال، قال لي، قالت، يقول، قالوا، يقولون، قالوا، يقال، قيل.
  - 2- حدث، حدثني، حدثتني به-حدثنا، حدثتني -حدثه، يحدث، حدثت، يتحدث.
  - 3- أخبرني، أخبرني، أخبرنا، أخبرونا، أخبرت.
  - 4- روى، يروي، يروون، رواية.
  - 5- سمعت، وأنا أسمع، سمع.
  - 6- أنشدني، أنشدنا.
  - 7- نكروا.
  - 8- قرأت.
  - 9- حكى.
  - 10- بلغني.
  - 11- أصبت رقعة.
  - 12- كتب إلي.
  - 13- وجدت بخط.
  - 14- نسخت هذا الخبر من خط.
  - 15- كتبت هذا الحديث من خط.

يمكننا بعد مقارنة هذه القائمة بالجدول الوارد قبلها أن نلاحظ ما يأتي:

- 1- أن هناك اتفاقا كبيرا بين الألفاظ الواردة في الجدول والقائمة.
- 2- - أن هناك إلى جانب هذا. الاتفاق الكبير فروقا واضحة ويمكننا تقسيم هذه الفروق إلى قسمين كبيرين هما:

أ- الفروق الكمية: حيث نجد أن عدد الألفاظ في القائمة أكثر منها في الجدول، حيث نجد في الجدول 78 لفظة، وفي القائمة 47 لفظة.

ب- الفروق النوعية: وذلك بوجود ألفاظ في الجدول لا توجد في القائمة، والعكس كذلك، فمن الصيغ التي انفرد بها الجدول، الألفاظ الخاصة بالإجازة، حيث لا نجد لها مقابل في القائمة، وكذا الألفاظ الخاصة بالمناولة، وبالمثل نجد في القائمة ألفاظا لا يوجد مقابل لها مثل: روى ومشتقاتها، أنشد ومشتقاتها  
حكى...

إلى جانب كثرة الصيغ المبنية للمجهول في القائمة مثل: قيل، يقال، حدثت... بينما لا نجد في الجدول أي صيغته من هذا النوع، وهذا راجع في نظرنا إلى ما يأتي:

- 1- طبيعة المادة المروية: حيث أن الجدول يرتبط برواية الحديث النبوي، بينما القائمة ترتبط برواية نصوص وأخبار أدبية، مما يجعل بعض الألفاظ تظهر في القائمة لها علاقة بطبيعة النصوص المروية مثل: حكى، وأنشد،...

2- طبيعة المنهج: حيث نجد علماء الحديث أكثر صرامة في تحقيق الحديث وسنده، فيرفض عندهم كل سند مجهول، وعلى العكس من ذلك نجد أن علماء الأدب أكثر تساهلاً في ذلك.

سلسلة الإسناد: (44)

أما إذا تتبعنا سلسلة الإسناد فنجد عدة أمور يمكننا تلخيصها في النقاط الآتية:

7- الإسناد المباشر: وهو الإسناد الذي لا يوجد فيه بين المؤلف وراوي النص أي شخص آخر، ويكثر هذا النوع من الإسناد في النصوص المكتوبة التي نقل عنها المؤلف، وبخاصة ما نقله عن قدامة بن جعفر وابن طباطبا. (45) مما يجعلنا نرشح النصوص التي لم يحدد مصدرها المكتوب، والتي تتوفر على شروط النص المكتوب أن تكون بدورها نصوصاً منقولة عن كتب مؤلفة.

2- الإسناد المركب: وهو الإسناد التي يتكون من أكثر من سلسلة واحدة من الرواة، مثل: "حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا محمد بن موسى البربري قال: حدثنا الزبير بن بكار، وحدثني عبد الله بن يحيى، قال: حدثنا العنزي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد الرحمان بن عبد الله الزهري عن عبد الرحمان بن أبي الزناد، عن أبيه عمر بن العزيز بن مروان" (46)

3- الرواية عن مجهول مثل: أخبرنا الحسن بن محمد العرمم، ومحمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: حدثني شيخ من مشايخ الأزدي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي" (47)

4- انعدام الإسناد، مثل: "عاب قوم على أوس بن حجر... " (48)

5- تحديد المكان الذي وقعت فيه الرواية مثل: "حدثنا علي بن سليمان الأخفش النحوي، قال: حدثنا إبراهيم بن موسى بن جميل الأندلسي بمصر... " (49)

6- تحديد الزمان الذي وقعت فيه الرواية مثل: "حدثني محمد بن موسى بن حماد، قال: كنت عند دبل بن علي أنا والعمراوي في سنة خمس وثلاثين ومائتين... " (50)

7- تحديد الحال التي وقعت فيها الرواية، مثل: "وأخبرنا محمد بن العباس قال: حدثنا أبو العيلاء، قال: حدثنا الأصمعي، قال: أنشد رجل بشار وأنا حاضر... " (51)

8- تحديد العلاقة بين الرواة، وهذه العلاقات يمكننا تقسيمها إلى قسمين هما:

أ- علاقة الدم، مثل: "وحدثني علي بن يحيى المنجم عن أبيه... " (52)

ب- علاقة العلم، وهي الغالبة على الرواة، وبخاصة التي يتم فيها التصريح بهذه العلاقة، مثل: "وقال مؤدبي أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدي... " (53)

9- تعدد الروايات واختلافها. (54)

### ثانياً: محور مواقف المرزباني من الروايات:

لقد استطعنا أن نرصد عدة نصوص للمرزباني حدد فيها مواقف من الروايات التي رواها في كتابه، ويمكننا ضبطها في النقاط الآتية:

7- تصحيح الأخطاء الواقعة في الرواية، مثل: "وذكر الفرزدق في هذا الحديث غلط، لأنه ما ورد على خليفة قبل سليمان بن عبد الله" (55)

2- نقد الأحكام النقدية وإظهار الخطأ فيها مع تفسير سبب الحكم في بعض المرات مثل: "تحامل الزبير بن بكار على كثير وهو خصم لا يقبل قوله على كثير لهجاء كثير لولد عبد الله بن الزبير وانحراف الزبير عن أهل البيت عليهم السلام" (56)

3- تقديم روايات أخرى. (57)

4- تأكيد الأحكام الواردة في الرواية. (58)

5- تقديم معلومات تساعد على فهم ما ورد في الرواية. (59)

6- تقديم أمثلة ونماذج مكملة لما ورد في الرواية. (60)

### الهوامش والإحالات:

- 1- دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، الدكتور عمار بوحوش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص92.
- 2- الموشح مرجع سابق ، نفسه.
- 3- الموشح مرجع سابق ، نفسه.
- 4- الموشح مرجع سابق ، نفسه.
- 5- الموشح مرجع سابق ، نفسه.
- 6- المرجع السابق، ص16.
- 7- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص15.
- 8- دليل الباحث، مرجع سابق، ص93.
- 9- دليل الباحث، مرجع سابق، ص93.
- 10- الموشح مرجع سابق، ص15.
- 11- الموشح مرجع سابق، ص15.
- 12- المرجع السابق، ص22.
- 13- المرجع السابق، ص24.
- 14- المرجع السابق، ص27.
- 15- المرجع السابق، ص28.
- 16- المرجع السابق، ص18.
- 17- المرجع السابق، ص110.
- 18- المرجع السابق، ص295.
- 19- المرجع السابق، ص299.
- 20- المرجع السابق، ص111.

- 21- المرجع السابق، ص ص 117-122.
- 22- أنظر، المرجع السابق، ص ص 26-27.
- 23- المرجع السابق، ص 27.
- 24- أنظر، المرجع السابق، ص ص 117-122.
- 25- المعجم الوافي في النحو العربي: الدكتور على توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ودار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1992، ص 93.
- 26- أنظر، الموشح، ص 96.
- 27- أنظر، المرجع السابق، ص 212.
- 28- أنظر، المرجع السابق، ص 106.
- 29- أنظر، المرجع السابق، ص 294.
- 30- مع وجود 9 شعراء منهم سبق ذكرهم مفردين.
- 31- في القسم الجماعي ذكر أعرابا دون تحديد العدد أو الأسماء.
- 32- أنظر الموشح، مرجع سابق، ص 310.
- 33- الفهرست: ابن النديم اعتنى بها وعلق عليها، الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997، ص 164.
- 34- النثر الفني في القرن الرابع الهجري: زكي مبارك، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ج 2/148.
- 35- سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي وردة عليه فحولة الشعراء: حققه وعلق عليه ووضع فهرسه د.محمد عودة سلامة أبو جري، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994، ص 30.
- 36- أنظر: نقد الشعر: فدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى: الناشر مكتبة الخانجي، مصر مكتبة المتنبي، بغداد، 1963، ص 26 وما بعدها، و ص 196 وما بعدها.
- 37- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: تحقيق د.محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص 41.
- 38- أسس النقد الأدبي في عيار الشعر، د.فخر الدين عامر، عالم الكتب، القاهرة، ط1 2000، ص 19.
- 39- أنظر الجامع في العروض والقوافي: أبو الحسن العروص، تحقيق، د. زهير غازي زاهد، والأستاذ هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996، المقدمة.
- 40- ابن طباطبا العلوي والتصور التداولي للشعر: د.عبد الجليل هنوش، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة 168، الحولية 21، 2000-2001، ص 12.
- 41- الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، د.محمد القاضي، دار الغرب الإسلامي، بيروت وكلية الآداب، منوبة، تونس، السلسلة الجامعية م 31، ط1، 1998، ص 227.
- 42- أنظر المرجع السابق، ص ص 231-236.
- 43- المرجع السابق، ص 252.
- 44- تمت الاستفادة في هذا الجزء من البحث من دراسة الدكتور توفيق الزبيدي: "تأسيس الخطاب النقدي (أطروحة الجمحي) منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص 14 وما بعدها.
- 45- أنظر الموشح، مرجع سابق، ص ص 34- 45- 52- 65- 76- 108- 208...
- 46- المرجع السابق، ص 188 وأنظر كذلك ص ص 18- 57- 62- 64- 75- 79...
- 47- المرجع السابق، ص 328 وأنظر كذلك ص ص 25- 29- 42- 43- 45- 50...
- 48- المرجع السابق، ص 81 كذلك ص 151.
- 49- المرجع السابق، ص 18 وأنظر كذلك ص ص 353-368.

- 50- المرجع السابق، ص 404.
- 51- المرجع السابق، ص 209 وأنظر كذلك ص ص199-257-266.
- 52- المرجع السابق، ص 64 وأنظر كذلك ص ص32-36-38-50-70...
- 53- المرجع السابق، ص 51.
- 54- المرجع السابق، وأنظر كذلك ص ص35-49-91-182-187-236.
- 55- المرجع السابق، ص 220 وأنظر كذلك ص ص214-282.
- 56- المرجع السابق، ص 207 وأنظر كذلك ص ص147-148-395-441.
- 57-أنظر المرجع السابق، ص ص38-99-267-363.
- 58-أنظر المرجع السابق، ص ص161-197.
- 59- أنظر المرجع السابق، ص ص302-451.
- 60- أنظر المرجع السابق، ص ص87-324-403-428.